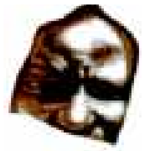
المكتبة المريدية



متن

خاتمة التصوف

للشيخ محمد بن المختار اليدالي رضي الله عنه (ت:1166هـ)

وهو الأصل الذي اعتمده أبو المحامد الشيخ الخديم رضي الله عنه في «مسالك الجنان»

كتبه وضبطه

صالح جن الريفاني سخن نفيسة بوسو محمد فاضل لي

راجعَه ونسقه

أبو مدين شعيب تياو الأزهري الطوبوي

جمادى الأولى 1439هـ/فبراير 2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا:

يَقُولُ الْفَقِيرُ إِلَى لُطْفِ رَبِّهِ، الْوَجِلُ مِنْ سُوءِ كَسْبِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّد سَعِيد الْيَدَالِيُّ الدَّيْمَانِيُّ، أَسْعَدَ اللهُ عَاقِبَتَهُمْ فِي الدَّارَيْنِ، وَبَيَّضَ لَهُمْ نَوَاصِيَ الْأَمَانِي:

خَاتِمَةٌ فِي التَّصَوُّفِ

مَا قَدَّمْنَاهُ تَوْحِيدُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَهُوَ: إِفْرَادُ التَّوْحِيدِ مَعَ عَدَمِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْعَارِفِينَ - وَهُوَ التَّصَوُّفُ - فَهُوَ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَى التَّوْحِيدِ حَتَّى لَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْخَلْقِ، وَيَتَخَلَّى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَنِ الرَّذَائِلِ، وَيَتَحَلَّى فِيهَا بِالْأَدَبِ وَالْفَضَائِلِ.

وَتَشْتَمِلُ الْخَاتِمَةُ عَلَى مُقَدَّمَةٍ، وَثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ: فِي الْخَلْقِ، وَفِي الرَّذَائِلِ، وَفِي الْأَدَبِ وَالْفَضَائِلِ.

مُقَدِّمَةٌ:

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِالظَّاهِرِ كَالْأَعْمَالِ يُسَمَّى تَفَقُّهًا، وَهُوَ مُقَدَّمٌ، وَبِالْبَاطِنِ كَالْأَحْوَالِ تَصَوُّفًا. وَالظَّاهِرُ تَبَعٌ لِلْبَاطِنِ؛ فَالْمُخِلُّ بِالْأَوَّلِ هَالِكٌ فِي الدُّنْيَا بِحُكْمِ الْعُلَمَاءِ، وَبِالثَّانِي فِي الْآخِرَةِ بِحُكْمِ مَلِكِ الْمُلُوكِ؛ فَلَزِمَ جَمْعُهُمَا.

فَاعْلَمْ: أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ هُمَا سَبَبَا السَّعَادَةِ، فَاجْتَهِدْ فِيهِمَا، وَفِي تَصْفِيَتِهِمَا مِنَ الْآفَاتِ، وَصَحِّحْهُمَا بِالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَبِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَلَازِمْ مِنْهُمَا مَا ثَقُلَ عَلَى نَفْسِكَ، وَمَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ لَوْ جَاءَكَ الْمَوْتُ، وَاحْتَمِلْ مَشَقَّتَهُمَا زَمَنًا قَلِيلًا؛ لِتَسْلَمَ وَتَتَنَعَّمَ دَهْرًا طَوِيلًا. وَإِكْثَارُهُمَا مَعَ الْآفَاتِ غُرُورٌ، كَتَرْكِهِمَا لِخَوْفِهَا، أَوْ لِعَدَمِ الْحُضُورِ، وَتَرْكُ التَّوْبَةِ لِخَوْفِ الْعَوْدَةِ غُرُورٌ.

وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَأُسُّهُ، إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ ثَمْرَتُهُ، فَقَلِيلُهُ مَعَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ مَعَ جَهْلٍ. وَالْعِلْمُ النَّافِعُ **مَا** كَانَ تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا رِيَاءً، وَمُبَاهَاةً، وَمِرَاءً، وَلَا تَصَيُّدًا لِلدُّنْيَا، وَتَحَيُّلًا لِصَرْفِ الْقُلُوبِ، وَإِلَّا كَانَ حُجَّةً وَوَبَالًا عَلَى صَاحِبِهِ، **وَمَا** أَفَادَ الْخَشْيَةَ، وَالذُّلَّ، وَالزُّهْدَ، وَالْأَدَبَ، وَالتَّوَاضُعَ، وَكَيْفِيَّةَ التَّعَبُّدِ لَهُ، وَالِافْتِقَارَ، وَصَفَّى الْقَلْبَ، وَقَمَعَ النَّفْسَ وَمَنَعَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَإِلَّا لَمْ يَمْنَعْ غَدًا مِنَ النَّارِ.

وَأَفْضَلُ **الْعِلْمِ**: التَّوْحِيدُ، فَالتَّفْسِيرُ، فَالْحَدِيثُ، فَالْفِقْهُ، فَالْآلَاتُ عَلَى حَسَبِهَا.

وَأَفْضَلُ **الْعَمَلِ** مَا تَعَدَّتْ فَائِدَتُهُ كَالْعِلْمِ، وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا صَفَّى الْقَلْبَ، وَهُوَ مَا دَامَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ، وَمَا شَقَّ عَلَى النَّفْسِ كَالْإِنْفَاقِ لِلْبَخِيلِ، وَالصَّوْمِ لِلشَّرِهِ، كَمَا أَنَّ أَقْبَحَ الْمَعَاصِي مَا قَسَّاهُ.

وَأَفْضَلُ **الذِّكْرِ**: الْقُرْآنُ، وَحَرْفٌ تُدُبِّرَ أَفْضَلُ مِنْ حَرْفَيْ غَيْرِهِ، وَبِالصَّلَاةِ، ثُمَّ بِالْمُصْحَفِ، وَالْجَهْرِ حَيْثُ لَا رِيَاءَ. **وَالنَّفْلُ** أَفْضَلُ بِالْبَيْتِ، وَبِاللَّيْلِ، وَفِي جَوْفِهِ الْأَخِيرِ.

فَصْلٌ:

اعْلَمْ: أَنَّ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْمَوْتَى أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَلَوْ سَاعَةً؛ لِيَعْمَلُوا صَالِحًا، فَاغْتَنِمْ بَقِيَّةَ عُمْرٍ ضُيِّعَ أَوَّلُهُ قَبْلَ فَوَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ مُرَاعَاةِ الْبَاطِنِ وَضَبْطِ الْحَوَاسِّ وَحِفْظِ الْأَنْفَاسِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَفَسٍ وَاحِدَةٍ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يُشْتَرَى بِهَا كَنْزٌ لَا يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أَبَدًا، فَإِخْلَاءُ نَفَسٍ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ حَسْرَةٌ وَخُسْرَانٌ.

وَاعْمُرْ أَوْقَاتَكَ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ بِالنَّوَافِلِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالصَّوْمِ، وَلَا سِيَّمَا فِي اللَّيْلِ، وَعَلَى الْأَقَارِبِ، وَفِي الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَبِكَثْرَةِ الْأَوْرَادِ، وَبِأَنْوَاعِ الذِّكْرِ، وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالِاكْتِسَابِ بِنِيَّةِ الْخَيْرِ وَإِيصَالِ خَيْرٍ أَوْ سُرُورٍ إِلَى مُسْلِمٍ.

وَاجْعَلْ لَكَ خَبِيئَةَ وِرْدٍ وَإِنْ قَلَّ، وَاجْتَهِدْ فِي الْإِخْلَاصِ فِيهِ، وَفِي إِخْفَائِهِ عَنِ النَّاسِ إِذْ مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْهُ رُبَّمَا كَانَ قَلِيلَ النَّفْعِ فِي الْآخِرَةِ.

فَصْلٌ:

التَّصَوُّفُ فَرْضُ عَيْنٍ، وَأَرْكَانُهُ: **الْعُزْلَةُ**، وَتَجِبُ إِنْ خَافَ عَلَى دِينِهِ، وَفِي الْفِتَنِ إِنْ عَجَزَ عَنْ إِزَالَتِهَا، وَإِلَّا حَرُمَتْ، وَإِنِ انْتَفَيَا فَهَلِ الْأَفْضَلُ: الْعُزْلَةُ لِاكْتِسَابِ فَوَائِدِهَا؟ أَوِ الْعُزْلَةُ، لِاكْتِسَابِ فَوَائِدِهَا إِنْ أَفَادَتْ فِكْرَةً، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَلَمْ يَتَرَفَّعْ بِهَا، وَلَمْ يَحْتَجْ وَلَمْ يُحْتَجْ إِلَيْهِ، وَإِلَّا نُدِبَتِ الْخُلْطَةُ فِي الْأَوَّلَيْنِ إِنْ سَلِمَ مِنْ آفَاتِهَا، وَوَجَبَتْ فِي الْبَاقِي بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ.

وَالتَّوْبَةُ، وَهِيَ: تَرْكُ ذَنْبٍ سَبَقَ مِثْلُهُ، تَعْظِيمًا للهِ تَعَالَى، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، مَعَ النَّدَمِ أَنْ لَا يَعُودَ، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ.

وَالْجُوعُ، وَالسَّهَرُ، وَالصُّمْتُ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ، **وَالِاسْتِقَامَةُ** عَلَى السُّنَّةِ، **وَتَجَنُّبُ الْبِدْعَةِ، وَتَقْوَى** اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي الْخَلْقِ

اعْلَمْ: أَنَّ الِالْتِفَاتَ إِلَى الْخَلْقِ حِجَابٌ، وَمِنَ الْخَلْقِ: **الْهَوَى، وَالشَّيْطَانُ**، فَاعْصِهِمَا، **وَالنَّفْسُ**، وَهِيَ أَضَرُّ الْأَعْدَاءِ، فَلَا تَرْكَنْ إِلَيْهَا، وَلَا تَرْضَ عَنْهَا، وَهِيَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَاتَّهِمْهَا وَلَوْ فِي الطَّاعَةِ لِخَدْعِهَا، وَاحْمِلْهَا عَلَى مَكْرُوهِهَا؛ فَإِنَّ الْمَكَارِمَ بِحَسَبِ الْمَكَارِهِ، وَجَاهِدْهَا امْتِثَالًا؛ لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ تَعَالَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِخْلَاصِ هِيَ الْعُلْيَا؛ وَحَاسِبْهَا كُلَّ لَحْظَةٍ؛ لِيَخِفَّ حِسَابُكَ غَدًا، وَلَازِمْهَا بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَهَوْلِهِ. وَكُنْ فِي الْحَذَرِ مِنْهَا كَمَنِ احْتَوَشَتْهُ السِّبَاعُ: إِنْ غَفَلَ سَاعَةً افْتَرَسَتْهُ، فَهُوَ مَذْعُورٌ أَبَدًا، وَعَدَاوَتُهَا لَكَ نِعْمَةٌ؛ لِتَضْطَرَّ إِلَيْهِ فِي دَفْعِهَا.

فَصْلٌ:

وَمِنْهُ: **الدُّنْيَا**، فَانْفُضْ يَدَ الْقَلْبِ مِنْهَا زُهْدًا فِيهَا؛ لِيَزْكُوَ عَمَلُكَ وَهُوَ: تَرْكُ إِرَادَتِهَا بِالْقَلْبِ: لَا تَفْرَحْ بِمَوْجُودِهَا، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَفْقُودِهَا؛ لِأَنَّ حُبَّهَا بِالطَّبْعِ مِنْهُ يَتَفَرَّعُ كُلُّ شَرٍّ، وَحَرَامُهَا: طَرْدٌ وَحِرْمَانٌ وَعَذَابٌ، وَشُبُهَاتُهَا ظُلْمَةٌ وَعِتَابٌ،

وَإِمْسَاكُ حَلَالِهَا تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا حَبْسٌ وَحِسَابٌ وَعِقَابٌ، وَشَهْوَةً حَبْسٌ وَحِسَابٌ، وَلِلِاحْتِيَاجِ وَعَوْنًا عَلَى الطَّاعَةِ وَتَعَطُّفًا عَلَى النَّاسِ وَتَعَفُّفًا عَنْهُمْ، لِيَسْلَمُوا مِنْهُ وَيَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ خَيْرٌ وَثَوَابٌ.

الْكَفَافُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَالْغَنِيُّ الشَّاكِرُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ. وَكُنْ عِنْدَ أَخْذِ الْقُوتِ مِنْهَا كَالْمُضْطَرِّ إِلَى الْمَيْتَةِ، وَفِيهَا كَالْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ. وَكَدَرُهَا كَالْبَلَاءِ وَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالْمُصِيبَةِ نِعْمَةٌ؛ لِأَنَّ مَنْ فَقَدَهُ سَكَنَ إِلَيْهَا؛ فَتَصِيرَ جَنَّتَهُ، فَيَكْرَهَ لِقَاءَ اللهِ، وَلِأَنَّ بِهِ الِاضْطِرَارَ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ تَعَالَى كَرْهًا؛ لِأَنَّ أَفْضَلَ أَحْوَالِ الْعَبْدِ: حَالَةُ الذُّلِّ وَالِاضْطِرَارِ، وَهُوَ أَنْ لَا يَرَى لِغِيَاثِهِ حَوْلًا وَلَا سَبَبًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ إِلَّا مَوْلَاهُ كَالْغَرِيقِ وَالضَّالِّ، وَأَدْنَاهَا حَالَةُ النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَالِاسْتِنَادُ إِلَى الْغَيْرِ حَتَّى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ؛ وَلِذَا كَانَ ذُلُّ الذَّنْبِ وَالْبَلَاءِ خَيْرًا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ وَالْعَطَاءِ، وَفِيهِ ضَعْفُ النَّفْسِ وَتَحْقِيرُهَا، وَالْمَنْعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَتَكْفِيرُهَا، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ وَتَذْكِيرُهَا، وَالْأَجْرُ إِنْ رَضِيَ، وَصَفَاءُ الْبَاطِنِ وَطَاعَتُهُ، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الظَّاهِرِ، لِأَنَّهَا أَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ.

فَصْلٌ:

وَمِنْهُ: **النَّاسُ**، فَارْفَعْ هِمَّتَكَ عَنْهُمْ، خَوْفًا وَطَمَعًا وَشَكْوَى، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا. وَاقْنَعْ بِعِلْمِهِ تَعَالَى فِيكَ، وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنَيْنِ: **عَيْنِ الشَّرِيعَةِ** بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةِ الْحَدِّ وَشُكْرِ إِحْسَانِهِمْ، **وَعَيْنِ الْحَقِيقَةِ** بِالْعُذْرِ إِنْ عَصَوْا فَإِنَّهُمْ مَجْبُورُونَ، أَوْ مَنَعُوكَ أَوْ آذَوْكَ، لأَنَّ الْمَانِعَ الضَّارَّ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَعَامِلْهُمْ بِإِعْطَاءِ الْحُقُوقِ، وَكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَصَبْرِهِ مِنْهُمْ، وَسِيَاسَةِ النَّصِيحَةِ، وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ ظَاهِرًا، مَعَ الِانْقِبَاضِ بَاطِنًا، وَالرِّفْقِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لَهُمْ، والْأَمَانَةِ، وَإِذَايَتُهُمْ نِعْمَةٌ؛ إِذْ يَرُدُّكَ بِهَا إِلَيْهِ.

فَصْلٌ:

وَمِنْهُ: **الْعَمَلُ** فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِ، وَلَا تَطْلُبْ عَلَيْهِ ثَوَابًا؛ لِاعْتِلَالِهِ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ، وَصَحِّحْهُ بِالصِّدْقِ، وَقُلْ إِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَهُ: «مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

الْبَابُ الثَّانِي فِي الرَّذَائِلِ

اعْلَمْ: أَنَّ الرَّذَائِلَ - وَهِيَ الذُّنُوبُ - تُورِثُ لِلْقَلْبِ الْقَسَاوَةَ، وَكَثْرَتُهَا لِلْعَبْدِ الشَّقَاوَةَ، وَيَتَعَجَّلُ شُؤْمُهَا فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُ أَنَّ بَلِيَّةَ صَاحِبِهَا نِعْمَةٌ، وَنِعْمَتَهُ اسْتِدْرَاجٌ بِخِلَافِ الْمُطِيعِ، فَإِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِهَا.

فَبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ وَإِلَى مُكَفِّرَاتِهَا كَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّهَجُّدِ، وَخِدْمَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَكَثْرَةِ الاِسْتِغْفَارِ وَسَيِّدِهِ، وَالتَّسْبِيحِ وَصَلَاتِهِ، وَهِيَ أَعْظَمُهَا.

فَصْلٌ:

الرَّذَائِلُ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ؛ أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَهِيَ حَرَامٌ، يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهَا كَالْغِيبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْأَيْمَانِ الْحَانِثَةِ، وَالزُّورِ، وَالْفَحْشَاءِ، وَمَا لَا يَعْنِي، وَالنَّظَرِ إِلَى حَرَامٍ وَمُبَاشَرَتِهِ، بِفَرْجٍ وَغَيْرِهِ، وَالنُّطْقِ بِهِ، وَكَتْبِهِ، وَسَمَاعِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ، وَدَمِ كَمُسْلِمٍ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ وَهِجْرَانِهِ إِلَّا لِحَقٍّ شَرْعِيٍّ وَاحْتِقَارِهِ وَإِهَانَتِهِ، وَالْمُدَاهَنَةِ وَكُلِّ مُعَامَلَةٍ فَاسِدَةٍ.

فَصْلٌ

وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَهِيَ عُيُوبُ النَّفْسِ يُخْشَى مِنْهَا سُوءُ الْخَاتِمَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى مِنْهَا، وَتَنْقَلِبُ فِي الْقَبْرِ حَيَّاتٍ وَعَقَارِبَ، وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الظَّاهِرِ لِمُلَاءَمَتِهَا النَّفْسَ، كَمَا أَنَّ اجْتِنَابَ الْمَنْهِيَّاتِ - وَهُوَ التَّقْوَى - أَفْضَلُ مِنِ اكْتِسَابِ الْمَأْمُورَاتِ.

وَهِيَ - وَإِنْ كَثُرَتْ- تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، وَهِيَ:

أَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى تَرْكِ الطَّاعَةِ وَحُبِّ الرَّاحَةِ، فَذَلِكَ هَوًى يُكَدِّرُ الْعُبُودِيَّةَ.

ثُمَّ إِنْ عَمِلَتْ شَابَتْهُ بِالْآفَاتِ، وَذَلِكَ شِرْكٌ يُكَدِّرُ التَّوْحِيدَ.

ثُمَّ إِنْ سَلِمَ مِنْهَا عَظَّمَتْهُ لَهُ، فَيُعْجَبُ بِهِ.

وَلَنْ تَصِلَ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِلَّا بَعْدَ قَطْعِ عَقَبَاتِهَا، فَالتَّشَاغُلُ بِمَعْرِفَتِهَا وَمُدَاوَاتِهَا وَاجِبٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ.

فَمَعْرِفَتُهَا تُسْتَفَادُ بِصُحْبَةِ شَيْخٍ أَوْ صَدِيقٍ، وَمِنَ الْمُخَالَطَةِ، وَمِنَ الْأَعْدَاءِ، وَدَوَاؤُهَا جُمْلَةً: الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّ الرُّجُوعَ إِلَى رَبِّ الْكَلْبِ أَوْلَى. وَصِدْقُ الْمُجَاهَدَةِ بِالْجُوعِ وَمَنْعِ الشَّهَوَاتِ، وَتَحَمُّلِ أَثْقَالِ الْعِبَادَاتِ، والحَلَالُ، وَصُحْبَةُ الصَّالِحِينَ: «كُلْ مَا شِئْتَ تَفْعَلْ مِثْلَهُ، وَاصْحَبْ مَنْ شِئْتَ تَكُنْ مِثْلَهُ»، وَالْفِرَارُ مِنْ مَظَانِّ الذَّنْبِ.

فَصْلٌ:

وَأَمَّا دَوَاؤُهَا تَفْصِيلًا فَهَاكَ بَعْضَهُ وَبَعْضَهَا؛ أَمَّا **الْكِبْرُ** وَهُوَ أَعْظَمُهَا؛ لِأَنَّهُ قَادِحٌ فِي الدِّينِ وَغَيْرُهُ قَادِحٌ فِي الْعَمَلِ.

وَمِنْهُ الْحَيَاءُ الطَّبِيعِيُّ، وَإِخْفَاءُ الْحَقِّ وَرَدُّهُ، وَاحْتِقَارُ النَّاسِ، فَدَوَاؤُهُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُمْكِنَاتِ سَوَاءٌ، فَلَسْتَ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ؛ لِجَهْلِ الْخَاتِمَةِ، وَأَنَّ الْوَعِيدَ فِيهِ شَدِيدٌ، فَقَدْ أَهْلَكَ إِبْلِيسَ، وَأَنَّ أَوَّلَكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، ثُمَّ تَصِيرُ حَامِلًا عَذِرَةً، ثُمَّ جِيفَةً قَذِرَةً «أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

وَأَمَّا **الْعُجْبُ** فَدَوَاؤُهُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ لَكَ، وَأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْكَ، وَأَنَّكَ مُقَصِّرٌ فِيهِ، وَأَنَّكَ لَمْ تُوفِّ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ ذَرَّةً، وَأَنَّ مَنِ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِ اللهِ تَخَلَّى عَنْهُ غَدًا، وَرُبَّمَا أَفْسَدَ لَحْظَةٌ عِبَادَةً كَثِيرَةً، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَسْتَعْظِمَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ لِسَيِّدِهِ.

وَأَمَّا **السُّمْعَةُ** – وَهِيَ: الْإِخْبَارُ بِعَمَلٍ خَالِصٍ لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الرِّيَاءِ الثَّلَاثَةِ، **وَالرِّيَاءُ** وَهُوَ: الْعَمَلُ لِقَصْدِ تَعْظِيمِ النَّاسِ، أَوْ جَلْبِ الْخَيْرِ، أَوْ دَفْعِ الشَّرِّ، وَفِي قَصْدِ الدُّنْيَا خِلَافٌ إِنْ لَمْ يَنْوِ بِهَا خَيْرًا وَإِلَّا فَإِخْلَاصٌ. فَالْمُلْتَفِتُ لِلْخَلْقِ فِي عَمَلِهِ مُرَاءٍ، وَلَوْ كَانَ خَالِيًا، وَإِلَّا فَمُخْلِصٌ وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ. وَمِنَ الرِّيَاءِ الْعَمَلُ اسْتِحْلَاءً أَوْ تَقَرُّبًا مِنَ الْحَضْرَةِ، أَوْ وُصُولًا إِلَى اللهِ تَعَالَى وَاسْتِدْعَاءً لِلتَّعْظِيمِ مِنَ النَّاسِ أَوِ الْخَوَارِقِ مِنْهُ تَعَالَى بِعَمَلِهِ، وَحُبُّ شُعُورِهِمْ بِهِ، وَهُوَ الرِّيَاءُ الْخَفِيُّ، وَالْإِطْرَاقُ وَالْخُشُوعُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ، وَالشُّكْرُ لِلزِّيَادَةِ –

فَدَوَاؤُهُمَا: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ، فَكَيْفَ غَيْرَهُ؟! وَأَنَّ الْوَعِيدَ فِيهِمَا شَدِيدٌ.

وَمِثَالُ الْمُرَائِي: مَنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَبِيعَ جَوْهَرَةً بِأَلْفِ أَلْفٍ فَبَاعَهَا بِفَلْسٍ، وَمَنْ أَمْكَنَهُ رِضَا أَعْظَمِ مَلِكٍ بِسَعْيِهِ فَطَلَبَ بِهِ رِضَا دَنِيءٍ، فَكَيْفَ وَالدَّنِيءُ يُبْغِضُكَ وَيُسْخِطُ عَلَيْكَ بِسُخْطِ الْمَلِكِ إِنْ عَلِمَ أَنَّكَ تَعْمَلُ لِأَجْلِهِ، فَاعْمَلْ لِمَنْ إِذَا عَمِلْتَ لِأَجْلِهِ أَحَبَّكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَغْنَاكَ عَنِ الْكُلِّ.

وَأَمَّا الْحَسَدُ – وَهُوَ: تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةٍ عَنْ مُسْلِمٍ لَهُ فِيهَا صَلَاحٌ، حَتَّى تَسُرَّكَ مُصِيبَتُهُ أَوْ تَحْزُنُكَ نِعْمَتُهُ، **وَالْغِشُّ** وَهُوَ: إِخْفَاءُ عَيْبٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ لِجَاهِلِهِ، **وَالْحِقْدُ** وَهُوَ الْإِقَامَةُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ مِمَّنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِ مَعَ إِظْهَارِ ذَلِكَ أَوْ إِخْفَائِهِ – **فَدَوَاؤُهَا**: أَنْ تَدْفَعَهَا وَتَكْرَهَهَا كَمَا تَكْرَهُ مَا طُبِعْتَ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْمَنْهِيَّاتِ، وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ وَتَدْعُوَ لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مُبْغِضَ مَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِهِ تَعَالَى وَمُعْتَرِضٌ عَلَيْهِ وَعَدُوُّ نِعْمَتِهِ، وَكَفَى بِذَلِكَ شَرًّا. فَعَظِّمْ مَنْ آثَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِخَاصِّيَّةٍ، وَلَا يَمْنَعْكَ فَضْلُكَ مِنْهُ فَتُسْلَبَ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَأَمَّا **التَّصَنُّعُ** وَتَزْيِينُ الظَّاهِرِ وَتَدْنِيسُ الْبَاطِنِ بِالْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ، فَادْفَعْهُمَا بِالذِّكْرِ مَعَ الْحُضُورِ، فَزَيِّنْ بَاطِنَكَ مَوْضِعَ نَظَرِ الْخَالِقِ عَلَى ظَاهِرِكَ مَوْضِعِ نَظَرِ الْخَلْقِ، تَزْدَنْ مِنْ غَيْرِ زِينَةٍ: «**مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ**».

وَأَمَّا **طَلَبُ الْعُلُوِّ** الْمُجَرَّدِ كَالْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَالتَّمَيُّزِ عَلَى الْأَقْرَانِ، فَذَلِكَ يُبْعِدُكَ عَنِ اللهِ.

وَأَمَّا **التَّكَبُّرُ** وَالْفَخْرُ وَالْمُبَاهَاةُ بِالْعِلْمِ وَطَلَبُ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ بِهِ، فَالْوَعِيدُ فِيهِ شَدِيدٌ، وَاشْكُرْهُ تَعَالَى إِذَا جَعَلَكَ وِعَاءً لِعِلْمِهِ.

وَأَمَّا **الْحِرْصُ** وَهَمُّ الرِّزْقِ وَخَوْفُ الْخَلْقِ وَالطَّمَعُ فِيهِمْ وَاسْتِكْشَافُ الضُّرِّ مِنْهُمْ، فَاعْلَمْ بِعَجْزِهِمْ وَأَنَّكَ لَا تَنَالُ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَكَ ؛ لِأَنَّهُ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ

كَائِنٌ، وَفَرَغَ رَبُّكَ مِنْ أَرْبَعٍ: خَلْقٍ، وَخُلُقٍ، وَرِزْقٍ، وَأَجَلٍ. وَمَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لَا مَا تُرِيدُ وَلَوْ حَرَصْتَ. وَلَا نَفْعَ وَلَا ضَرَرَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ أَوْ يُحَرِّكُوا ذَرَّةً دُونَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى لَعَجَزُوا وَبِالْعَكْسِ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى وَعَدَ بِرِزْقِكَ وَضَمِنَ وَأَقْسَمَ، فَلَا تَضْطَرِبْ لِفَقْدِهِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِحَالِكَ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْعَجْزِ وَالنِّسْيَانِ وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ، وَصَحِّحْ إِيمَانَكَ بِخَبَرِهِ تَعَالَى، وَارْفَعْ هِمَّتَكَ عَنِ الْخَلْقِ، وَكُلْ بِعِزٍّ [وَلَا تَأْكُلْهُ بِذُلٍّ]

وَأَمَّا **تَعْظِيمُ الْأَغْنِيَاءِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْفُقَرَاءِ** فَقَدْ عُوتِبَ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَكَ.

وَأَمَّا **حُبُّ الْمَدْحِ**، وَالِاغْتِرَارُ بِهِ، وَبُغْضُ الذَّمِّ فَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ لِظَنِّ مَا عِنْدَ النَّاسِ.

وَأَمَّا مُجَرَّدُ **سُوءِ الظَّنِّ** بِالْمُسْلِمِ، وَرُؤْيَةُ الْفَضْلِ عَلَى الْغَيْرِ، وَاسْتِحْسَانُ أُمُورِهِ وَاسْتِقْبَاحُهَا مِنْ غَيْرِهِ، **فَاتَّهِمْ** نَفْسَكَ وَحَسِّنِ الظَّنَّ بِالْخَلْقِ لِإِبْهَامِ الْعَوَاقِبِ.

وَأَمَّا **التَّسْوِيفُ** وَالْغَفْلَةُ وَالتَّوَانِي وَالْإِصْرَارُ، **فَتَفَكَّرْ** فِي عَذَابِ اللهِ وَنَعِيمِهِ، وَفِي أَنَّهُ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ، وَأَنَّكَ مُحَاسَبٌ عَلَى الْخَطْرَةِ وَالْخَطْوَةِ، وَفِي أَنَّ أَكْثَرَ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ، وَأَنَّهُ لَعَلَّكَ لَا تَبْقَى إِلَى غَدٍ، أَوْ لَا تَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَدًا كَالْيَوْمِ.

وَأَمَّا **تَرْكُ التَّكَسُّبِ تَوَكُّلًا مَعَ التَّشَوُّفِ** لِلْخَلْقِ وَالسَّخَطِ **فَاعْلَمْ** أَنَّ التَّكَسُّبَ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ جَمْعُهُمَا - وَإِنِ اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ- لِأَنَّهُ تَعَالَى رَبَطَ فِعْلَهُ عَادَةً بِأَسْبَابٍ جَعَلَهَا أَبْوَابَ فِعْلِهِ، وَرَتَّبَ مُلْكَهُ عَلَى تِلْكَ الْعَوَائِدِ، فَمَنْ طَلَبَ مِنْهُ تَعَالَى فِعْلًا بِدُونِ بَابِهِ فَقَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَ. **وَمَحَلُّ** الْخِلَافِ: فِي الْأَفْضَلِ مِنْهُمَا مَا لَمْ تَتَعَذَّرِ الْأَسْبَابُ، وَإِلَّا تَعَيَّنَ التَّوَكُّلُ، وَلَمْ يَتَشَوَّفْ، وَلَمْ يَتَسَخَّطْ، وَلَمْ يَتَوَسْوَسْ، وَإِلَّا وَجَبَ جَمْعُهُمَا، وَهُوَ: فَرَاغُ الْقَلْبِ مِنَ الْأَسْبَابِ اتِّكَالًا مَعَ

مُبَاشَرَتِهَا امْتِثَالًا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْفِرَارِ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ إِلَى أَسْبَابِ السَّلَامَةِ، فِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، فَتَكَسَّبْ ظَاهِراً امْتِثَالاً، وَوُقُوفاً مَعَ الْبَابِ، وَاسْتَسْلِمْ بَاطِناً اتِّكَالاً وَثِقَةً بِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، لِتَجْمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ؛ فَالْإِخْلَالُ بِالْأَوَّلِ زَنْدَقَةٌ، وَبِالثَّانِي شِرْكٌ.

وَأَمَّا **الْأَمَلُ** فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ تَرْكُ التَّوْبَةِ، وَالْقَسْوَةُ، وَالْكَسَلُ، وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ وَاجِبٍ، وَتَوَهُّمُ الرُّخَصِ. فَاعْلَمْ أَنَّ السَّيْرَ بِكَ سَرِيعٌ، وَلَعَلَّكَ عَلَى شَفَا جُرُفٍ مِنَ الْأَهْوَالِ الشَّدِيدَةِ.

وَأَمَّا **الْبَطَالَةُ** وَتَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ فِيمَا لَا يَعْنِي، فَاعْلَمْ أَنَّ وَقْتَكَ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ، فَاشْغَلْهُ بِأَعَزِّهَا. وَأَمَّا **الْفَرَحُ** وَطَلَبُ الرَّاحَةِ، فَتَذَكَّرْ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَتَقْصِيرَكَ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُ الفَرِحَ. وَأَمَّا **نِسْيَانُ** إِمْهَالِ اللهِ لَكَ مَعَ إِسَاءَتِكَ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَكَ بِإِهْمَالٍ. وَأَمَّا **الْأَمْنُ** مِنْ مَكْرِ اللهِ، فَذَلِكَ تَحْجِيرٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا **الْقُنُوطُ** فَتَفَكَّرْ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا **رُؤْيَةُ عُيُوبِ النَّاسِ** وَالْعَمَاءُ عَنْ عُيُوبِكَ، فَاعْذُرْهُمْ وَاسْتُرْ عَلَيْهِمْ؛ لِيَسْتُرَ اللهُ عَوْرَتَكَ غَداً. وَأَمَّا **حُبُّ الدُّنْيَا** وَالْبُخْلُ، فَاعْلَمْ بِخِسَّةِ قَدْرِهَا وَفَنَائِهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ، فَالْعَاقِلُ مَنْ يَعْمَلُ لِدَارِ قَرَارِهِ. وَأَمَّا **التَّمَنِّي** فَهُوَ مِنَ الِاعْتِرَاضِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَاسْتَسْلِمْ، فَلَا تَدْرِي مَا يُعْقِبُكَ: أَخَيْرًا؟ أَمْ شَرًّا؟ أَمْ مَا يُسْخِطُهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا **الْمَنُّ بِالْعَطَاءِ فَاعْلَمْ** أَنَّ الْمُعْطِيَ حَقِيقَةً هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَأَنْتَ وَاسِطَةٌ. وَأَمَّا **الْغَضَبُ وَالْحِدَّةُ وَالْحَمِيَّةُ وَضِيقُ الصَّدْرِ**، فَذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ، وَأَنْ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللهُ تَعَالَى -. وَأَمَّا **الِاسْتِعْجَالُ**، فَإِنَّهُ يُوقِعُ فِي السَّأَمِ وَالْحِرْمَانِ وَالنَّدَمِ وَالْعِصْيَانِ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: فِي الْآدَابِ وَالْفَضَائِلِ

اعْلَمْ: أَنَّ الْأَدَبَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، إِذْ بِهِ تَصِلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَبِهَا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالُوا: «كَادَ الْأَدَبُ أَنْ يَكُونَ ثُلُثَي الدِّينِ» وَهُوَ قِسْمَانِ: أَدَبُ الظَّاهِرِ مَعَ الْخَلْقِ، وَأَدَبُ الْبَاطِنِ مَعَ اللهِ الْخَالِقِ، وَالظَّاهِرُ تَبَعٌ لِلْبَاطِنِ.

فَمِنْ **أَدَبِ الظَّاهِرِ**: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْحَيَاءُ، وَالتَّيَامُنُ، وَالتَّسْمِيَةُ فِي مَحَلِّهَا، وَآدَابُ الْأَكْلِ، وَالسِّوَاكُ، وَيَتَأَكَّدُ عِنْدَ الصَّلَاةِ وَالتِّلَاوَةِ، وَالْمُصَافَحَةُ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ وَرَدُّهُ، وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى، وَحَمْدُ الْعَاطِشِ وَتَشْمِيتُهُ، وَسَدُّ الْفَمِ لِلتَّثَاؤُبِ، وَالاِسْتِئْذَانُ، وَالْفِطْرَةُ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَ، وَصِلَةُ مَنْ قَطَعَ، وَالْبِرُّ، وَيَجِبَانِ فِي الرَّحِمِ وَالْوَالِدِ، وَتَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا **أَدَبُ الْبَاطِنِ مَعَ الْخَالِقِ** فَإِسَاءَتُهُ طَرْدٌ وَحِجَابٌ عَنِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَذَلِكَ أَشَدُّ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ كَالتَّعَرُّضِ لِقَضَائِهِ تَعَالَى وَلَوْ بِلَوْ وَلَوْلَا وَلَعَلَّ وَلَيْتَ وَالاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى خَلْقِهِ أَوْ عَلَى الْمَشَايِخِ قَلْبًا وَقَالَبًا ، وَالاِخْتِيَارِ وَالتَّدْبِيرِ مَعَهُ قَلْبًا، وَالاِلْتِفَاتِ إِلَى الْخَلْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَشَكْوَى، وَتَتَبُّعِ الرُّخَصِ، وَتَعَاطِي الْمُبَاحِ بِلَا نِيَّةِ طَاعَةٍ أَوْ تَوَصُّلٍ إِلَيْهَا، أَوْ كَفٍّ عَنْ حَرَامٍ، وَنَوْمِ النَّهَارِ مِنْ غَيْرِ سَهَرِ اللَّيْلِ أَوْ قَبْلَ الْغَلَبَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَقَوْلِ : هَذَا لِي أَوْ يَضُرُّنِي، وَالتَّهَاوُنِ بِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ بِالْحُضُورِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ بِالْقِيَامِ لِأَهْلِ الْفَضْلِ، وَالْأَكْلِ بِالدِّينِ، وَالْمُوَاظَبَةِ عَلَى تَرْكِ قِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ فَقْرٌ فِي الآخِرَةِ، وَمُجَرَّدِ الاِعْتِذَارِ وَالْإِنكَارِ وَالزِّينَةِ وَالتَّقَرُّبِ لِلْأُمَرَاءِ، وَدَعْوَى الْمَقَامَاتِ وَالتَّصَدُّرِ لَهَا.

فَصْلٌ

وَمِنَ الْأَدَبِ مُرَاعَاةُ حُقُوقِ الْأَوْقَاتِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي لاَ تُقْضَى:

أَمَّا **الطَّاعَةُ** فَحَقُّ اللهِ فِيهَا أَنْ يَرَاهَا مِنَّةً، لِيُخْلِصَ وَيَشْكُرَ وَلاَ يُعْجَبَ، وَنَاقِصَةً، لِيَسْتَغْفِرَ فَيَنْظُرَهَا بِعَيْنَيْنِ فَتَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا **النِّعْمَةُ** فَشُهُودُ مِنَّتِهِ تَعَالَى وَانْفِرَادِهِ بِهَا، وَشُكْرُهُ مَعَ شُكْرِ الْوَاسِطَةِ جَمْعًا بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ، وَإِلاَّ كَانَ كُفْرَانًا، وَكُفْرًا إِنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ، وَأَنْ تَفْرَحَ بِالْمُنْعِمِ شُكْرًا وَبِهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْهُ لاَ بِهَا لِنَيْلِ غَرَضِكَ فَيَمْكُرَ بِكَ، وَتَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَوَالِيهَا مَعَ دَوَامِ الْإِسَاءَةِ وَعَدَمِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا مَكْرٌ وَاسْتِدْرَاجٌ.

وَأَمَّا **الْمَعْصِيَةُ** فَالْخَوْفُ وَالتَّوْبَةُ وَالتَّضَرُّعُ وَالْبُكَاءُ وَالشُّكْرُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَكْبَرَ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَحِلَّهَا، وَمُلَاحَظَةُ اللُّطْفِ وَخَفِيِّ الْمِنَّةِ؛ إِذْ رُبَّمَا تَكُونُ سَبَبًا لِكَفِّ الْعُجْبِ -وَهُوَ شَرٌّ مِنْهَا -إِذِ الْعُجْبُ يَصْرِفُهُ عَنْ رَبِّهِ إِلَى النَّفْسِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَعْصِيَةِ.

وَأَمَّا **النِّقْمَةُ** فَالصَّبْرُ وَالرِّضَا وَحُسْنُ الظَّنِّ؛ إِذْ يَقْبُحُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّهِمَ مَوْلَاكَ فَتَكْرَهَ فِعْلَهُ وَهُوَ أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ، وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ إِلاَّ صَلَاحَكَ، وَسُؤَالُ الْكَشْفِ وَالْعَافِيَةِ وَالتَّسَبُّبُ -إِنْ أَمْكَنَ -وَنَفْيُ الشَّكْوَى إِلاَّ إِلَى الْمَوْلَى وَالِالْتِفَاتُ لِمُوجِبِهَا، فَيَتُوبَ مِنْهُ؛ إِذْ مَا أَصَابَنَا مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، فَلِذَا كَانَ سَبُّ الظَّلَمَةِ ظُلْمًا، وَرُؤْيَةُ النِّعَمِ فِي طَيِّ النِّقَمِ، وَالشُّكْرُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَكْبَرَ، وَإِذْ لَمْ تَكُنْ فِي دِينِهِ، وَإِذْ سَلَكَ بِكَ مَسَالِكَ الْأَوْلِيَاءِ، وَإِذْ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا.

فَلْيَكُنْ **شِعَارُكَ** فِي الْأَوْقَاتِ: الْحَمْدُ لله، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، إِلَّا أَنَّهُ يُقَدِّمُ الِاسْتِغْفَارَ فِي الأَخِيرَتَيْنِ.

فَصْلٌ

وَمِنَ **الْأَدَبِ**: **الصَّبْرُ** عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْمَصَائِبِ، وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، وَمِنْ كَمَالِهِ: كِتْمَانُهَا، وَعَنِ الْمَنْهِيَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَعَنِ الأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ، وَفِي النِّعْمَةِ وَفِي حَالِ الْعَافِيَةِ.

وَمِنَ **الأَدَبِ**: **الدُّعَاءُ**، وَلْيَكُنْ عُبُودِيَّةً وَمُنَاجَاةً وَإِظْهَارًا لِلْفَاقَةِ، وَإِلاَّ فَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ لاَ تَسَبُّبًا لِلْعَطَاءِ فَتَتَّهِمَ رَبَّكَ، وَهُوَ: «**مُخُّ الْعِبَادَةِ**».

وَالشُّكْرُ وَهُوَ: شُهُودُ النِّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي رِضَاهُ جَنَانًا وَلِسَانًا وَأَرْكَانًا. **وَالتَّوَاضُعُ**، وَمِنْهُ: **التَّكَبُّرُ** عَلَى الْمُتَكَبِّرِ وَالْغَنِيِّ. **وَالإِخْلَاصُ**، وَدَرَجَاتُهُ ثَلَاثٌ: عُلْيَا، وَوُسْطَى، وَدُنْيَا: أَنْ تَعْبُدَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالاً، أَوْ عُبُودِيَّةً وَامْتِثَالاً، أَوْ لِنَيْلِ الثَّوَابِ وَدَفْعِ الْعِقَابِ.

وَالرَّجَاءُ وَهُوَ: الْأَمَلُ مَعَ الأَخْذِ فِي أَسْبَابِ الْمَرْجُوِّ، وَإِلاَّ فَطَمَعٌ وَغُرُورٌ وَأُمْنِيَّةٌ. **وَالْخَوْفُ** وَالْحُزْنُ؛ لِأَنَّ أَمْرَكَ مَجْهُولٌ، وَلَسْتَ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ. وَالصِّدْقُ، وَالرِّضَا، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالتَّفْوِيضُ، وَالْمُرَاقَبَةُ، وَتَطْهِيرُ الْإِيمَانِ بِمَاءِ التَّوْبَةِ، وَالْحَلَالُ، وَسَقْيُ شَجَرِهِ بِأَمْطَارِ الطَّاعَاتِ وَالأَعْمَالِ، وَصَلاَةُ الضُّحَى، وَالنَّدَمُ عِنْدَ فَوَاتِ الطَّاعَةِ، وَتَجَنُّبُ أَسْبَابِ خَاتِمَةِ السُّوءِ - أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا- كَاسْتِيلَاءِ حُبِّ الدُّنْيَا عَلَى الْقَلْبِ، وَالاِنْكِبَابِ عَلَيْهَا بِصَرْفِ الْهِمَّةِ إِلَيْهَا بِالْجَمْعِ وَالْمَنْعِ لِحُقُوقِهَا، وَالتَّوَسُّعِ فِي نَعِيمِهَا بِمَا يُوجِبُ الرُّكُونَ إِلَيْهَا، وَاسْتِغْرَاقِ الْقَلْبِ فِي تَدْبِيرِهَا، وَكَتْمِ الْآفَاتِ فِي الْقَلْبِ وَلاَ سِيَّمَا الْكِبْرُ، وَالإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالنِّفَاقُ، وَالْبِدْعَةُ، وَالْوَقِيعَةُ فِي الأَوْلِيَاءِ وَتَكْذِيبُهُمْ، وَدَعْوَى الْوِلاَيَةِ وَالْكَرَامَةِ افْتِرَاءً.

وَمِنَ **الْأَدَبِ**: الاِهْتِمَامُ بِالسُّوَرِ وَالْآيَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَذْكَارِ الْجَامِعَةِ، وَلاَسِيَّمَا إِذَا ضَاقَ الْعُمُرُ أَوِ الْوَقْتُ، وَبِالْأُمُورِ الْمُعَلَّقِ عَلَيْهَا حُسْنُ الْخَاتِمَةِ، رَزَقَنَا اللهُ إِيَّاهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

✦ ✦ ✦

اعتمدنا في كتابة النص على النسخة المنشورة في كتاب

الطريقة الشاذلية في بلاد شنقيط – أعلام ونصوص –

-خاتمة التصوف للشيخ محمد اليدالي نموذجا

للدكتور أحمد ولد آكاه

مع الاستئناس بكتاب

خاتمة التصوف وشرحها (ج:1)

الذي نشره الأستاذ الراجل بهـ أحمد سالم اليدالي